الكاتب اليهـودي سامي ميخائيل
محاولة محاكمة الماضي والحاضر

رياض بيدس

أثارت كتابات سامي ميخائيل، دائماً، ردود فعل متضاربة. فهو احد الكتّاب العبريين الذين بدأوا الكتـابـة بالعربية، ثمّ انقلب الى الكتابة بالعبرية، معبّراً عمّا يجول في نفسه تجاه العالم العربي، والشخصية العربية، وتجربته في النضال مع زملاء عرب من الشيوعيين.

ولد الكـاتب سامي ميخـائيـل في بغـداد، سنة ١٩٢٦. وشارك في النضال السياسي (الحركة الشيوعية) وهو في مقتبل العمر في العراق. وبسبب مشاركته في الحركات الثورية السرية اضطر الى مغادرة بغداد الى ايران سنة ١٩٤٨؛ وبعدها انتقل الى اسرائيل. بعد انهائه الخدمة العسكرية، بدأ يكتب في صحف ومجلات عدة تصدر باللغة العربية (احداها مجلة «الجديد» الحيفاوية) وكان رفيق حزب. وله روايات عديدة تعكس مضامين واقعية استمدها الكاتب من تجربته في العراق واسرائيل.

لذا، قبل البدء بتناول عالم الكاتب، نرى من الضروري الاشارة الى مقالتين هامتين جداً نشرهما الكاتب قبل بضع سنوات، حيث اوضح فيهما مواقفه تجاه ما يجري؛ ثمّ ننتقل، بعدئذٍ، بلمحة، الى رواياته التي تعالج موقفه من العالم العربي ـ الروايات التي تدور في العراق وتنطلق منها الى رؤيته الشاملة للواقع العربي في اسرائيل، والذي يتجلى في ابرز مظاهره في روايتيه «إجارة» و«بوق في الوادي».

كتب سامي ميخائيل عن تجربة انتقاله من لغة الى اخرى ما يلي: «وصلت من العراق احمل شحنة روحانية مبلورة، لكنها مختلفة، بلغة عربية كانت جزءاً مني. كنت مستعداً للتخلي عن اللغة، ولكن، قطعاً، ليس عن الشحنة الروحانية التي استمددتها من الثقافة العربية التقدمية التي تحارب من اجل البعث بطرق مؤلمة. هذه الثقافة استمدت القيم عبر استعداد لانتقاء الجيد من المختلف، ومن خلال رغبة في الحفاظ على كل ما هو حيوي من التراث. وبهذا الجهد ـ دمج اللغة العبرية مع الشحنة الروحانية المناضلة التي استمددتها في العراق، كنت، وبقيت، مثل جزيرة معزولة في حقل الثقافة الاسرائيلية. لست نادماً على ذلك، فقد احتللت مكاني، واني اكتفي به».

من هذه الجزيرة المعزولة، التي اعلن عنها سامي ميخائيل، صراحة، في مقالته، بدأت حملته على الحياة في العراق وشخصية العربي السلبية التي وصفها هنا. ففي مقالة أخرى كتب ما يلي: «من اوساط جيلي خرج اوائل الكتّاب العراقيون، وكانت غالبيتهم العظمى من اليهود. هؤلاء اليهود، مثل اسطفان هايم وانطون شمّاس، عرفوا شيئاً وقالوا غيره... وبلغ بهم الحذر الى حدّ انهم تجنّبوا اطلاق اي اسم يهـودي على شخصيـات قصصهم. اسحق بار ـ موشي هو نمـوذج جيـد لذلك. واليـوم،